



تصحیح اکبر خطا
فی تاریخ الإسلام الحديث
السلطان عبدالمعز و الدولة العثمانية

أنور الجبوري

دار الإحسان

تصحيح أكبر خطا
في تاريخ الاسلام الحديث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1. _____

2. _____

3. _____

4. _____

5. _____

6. _____

7. _____

1. _____

2. _____

3. _____

4. _____

5. _____

6. _____

7. _____

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تكشفت في السنوات الأخيرة حقائق كثيرة كانت خافية والبيعت اسرار كثيرة ظلت في طي الكتمان اموالاً واحيالا . وقد كان لظهور هذه الحقائق والاسرار اثرها البعيد في مجالات مختلفة وامور كثيرة وكان أبرز هذه الوثائق « بروتوكولات مسيويون » وكانت قد أصبحت كالمسلمة مما استدعى إعادة النظر فيها ومراجعتها من جديد . وكان أبرز هذه الأمور ما اعترض تاريخ الاسلام الحديث من مواقف ارتبطت بالدولة العثمانية والصهيونية العالمية ومحاولة استيلاء اليهود على فلسطين ، ففي خلال هذه الفترة من حياة الدولة العثمانية كانت الملمع المتصارعة بين الدول الغربية من ناحية والصهيونية العالمية من ناحية اخرى قد عملت على حجب كثير من الحقائق وتزييف جانب آخر منها في محاولة عاتية لتزييق الوحدة الاسلامية وللادالة من الخلافة الاسلامية وفتح الطريق للقوى الصهيونية الى فلسطين واتابة الحواجز الانسانية العميقة بين اجزاء العالم الاسلامي وخاصة بين اقطار البلاد العربية وذلك حتى تمكن هذه القوى الجديدة من التوطين والسيطرة باعتبارها شريكا للاستعمار الغربي وبدلا منه من خلال مطمح عقائدي يرتبط بارساء المعسكر ويتأريخ تدبير لليهود متصل بها ومن خلال هذه المحاولات

لواحدة زيف تاريخ الإسلام الحديث ووضعت خططا وكلمات ومصطلحات أصبحت بمثابة المسلمات التي ردت عليها كتب الدارسين ولبنات الجامعات ومجلات الصحف على أنها التفسير الحقيقي للأمور وكلمها تقول : بالسلطان الأحمر والاستعمار التركي والاستبداد العثماني والصراع بين العرب والترك والتومية الطورانية . ومن هذا نشأ تصور ما زال مطروحا في أغلب كتب التاريخ والأدب العسري وخاصة في المراجع المدرسية والجامعية قوامه :

١ - أن السلطان عبد الحميد كان رجلا مسيحا ظالما ، وأنه كان يلقي خصومه بالمعشرات في الدردنيل وكانت له قوى ضخمة تستغل بالجناسوسية وتصادر الحريات .

٢ - أن الدولة العثمانية كانت دولة مستعمرة سيطرت على البلاد العربية بالقوة وجنت اليها ثمراتها وتركت تلك البلاد فترة ضعيفة .

٣ - أن الانتدابيين في الدولة العثمانية كانوا قوة تقدمية عربية بينما كانت القوى الأخرى قوى رجعية متخلفة .

٤ - أن دعوة السلطان عبد الحميد إلى الوحدة الإسلامية كان قد تجاوزها الزمن وفلت أوائها وأن الدعوات القومية كانت هي السلوب العصر .

منذ أن عقد مؤتمر بال في سويسرا عام ١٨٩٧ بزعامة المفتي اليهودي هرتزل وبعد صدور كتاب الدولة اليهودية بقلمه كان قد أفتح مجال جديد للعمل في مواجهة العالم الإسلامي لخلق الطريق إلى فلسطين لاقباله وطن قومي لليهود

بها من خلال مخطط القوى الاستعمارية التي كانت قد انطلقت منذ ١٧٦٩ إلى مصر تحت اسم الحملة الفرنسية ثم إلى الجزائر ١٨٣٠ ثم إلى مصر مرة أخرى ١٨٨٢ وإلى تونس قبل ذلك بعام واحد ، وفي هذه المرحلة كان الصراع قويا بين **الاستعماريين** الفرنسي والبريطاني في المنطقة التي تضم الدولة العثمانية التي كانت تمثل الوحدة العربية التركية ، ولكن تكثف الصورة فإن هولندا كانت قد سبقت ذلك بوقت طويل بالاستيلاء على الملايو وجاوه وما يطلق عليه الآن اسم الدونيسيا وكانت بريطانيا قد احتلت الهند وكانت أجزاء من الخليج قد سقطت في أيدي إسبانيا والبرتغال ثم ورثتها بريطانيا وكان هذا كله جزءا من مخطط الاستعمار الغربي الحديث الذي تكامل في نهاية الحرب العالمية الأولى ببقاء الصراع بين العرب والترك في المناطق العربية (الحجاز والشام والعراق) وحلول فرنسا وبريطانيا بدلا من الدولة العثمانية في هذه المناطق بعد معركة أدلرنها التي قادها لورنس الذي وصف في يوم من الأيام بأنه ملك العرب غير المتزوج .

كان المخطط معدا لأن تعطي فلسطين في هذا المسرح الذي مثلت عليه هذه الرواية كلها للسيونية المالية . وأن استيلاء بريطانيا على فلسطين عام ١٩٤٨ كان نهجا لأن تقع بها فيها بيت المقدس في أيدي اليهود .

ومراجعة الأحداث شيء بهذا التخطيط الواسع المديد الذي بدأ منذ وقت بكر يسبق لقاء هرنزل السلطان عبد الحميد ، وهو في حقيقته صراع بين أرادتين ، الإرادة الأولى : هي إرادة السلطان عبد الحميد الذي تولى الملك في الدولة العثمانية عام ١٨٦٨ والذي قاد حركة كبرى في سبيل الوحدة في مواجهة الاستعمار تحت اسم الجامعة

الإسلامية لتعمل مع جميع مسلمي العالم خارج نطاق الدولة العثمانية وتوجد كل القوى والمذاهب والأقطار .

ولا ريب كانت هذه الحركة بخلاف إرادة أخرى كانت تستهدف تضييق الدولة العثمانية نفسها وليس لشككتها من أن تجمع إليها الأقطار المسلمين الأخرى التي في خارجها ولذلك كان الفضل مبيتا وكان الصراع شديدا فقد تكلفت القوى الغربية كلها في سبيل السيطرة على البلاد الإسلامية وتقسيم الإمبراطورية العثمانية بعد أن صعدت إلى نهايتها **سنوات عدة بالحروب والمذابح** وحين كانت لتبوء سلالة جاء السلطان عبد الحميد **ليعقد الخانجر على مقاومة الاستعمار** ولذلك كان لابد من إزاحته ، كذلك فإن اليهودية العالمية كانت ترى أن الدولة العثمانية هي مخططها إلى فلسطين وكانت تعد العدة منذ وقت بعيد في مؤامرة خطيرة داخل تركيا هي سلفونيك التي كانت تنجح فيها (الدولة) أولئك الذين دخلوا الإسلام نقية ، من يهود أسبانيا الذين هاجروا بعد خروج الحكم الإسلامي منها ، والذين كانوا قد اتشأروا الحافل المسيحية لامتداد خلسة الانفصاليين على الدولة العثمانية . والذين استطاعوا اختواء جماعة الاتحاد والترقي والتفعل فيها والسيطرة عليها ومن ثم استطاعوا بها القضاء على السلطان عبد الحميد واستنطاق مشروعه والقيام على الدولة لتمزقتها والقضاء عليها ، ولا عجب فني ظل حكم الانتحائيين بعد استنطاق عبد الحميد منذ عام ١٩٠٩ إلى ١٩١٨ هزمت الدولة في الحرب العالمية وسلطت طرابلس الغرب إلى إيطاليا وفتحت الطريق أمام اليهود إلى فلسطين .

هذه المرحلة الدقيقة الخطيرة من تاريخ الإسلام في العصر الحديث ما زالت تشوبها الشوائب وتحوّل قوى كثيرة دون

الكشف عن حقائقها ، وما زالت الصورة التي رسمتها الصهيونية والاستعمار لها هي الصورة الرئيسية الغالبة في كتب المدارس والجامعات بالرغم من الحقائق الكثيرة التي تكشفت وألقيت الظلم عن وجهه الرجل الكريم السلطان عبد الحميد وعن موقفه .

والحق أنه ليست هناك شخصية في تاريخ الإسلام الحديث هوجيت بمثل ذلك العكف والتعسف الذي هوجم به السلطان عبد الحميد حتى كشفت الوثائق في السنوات الأخيرة ليس عن برايقه بل عن بطولته ومن عجب أن أبرز المنصومس التي أحقت الحق ، جاءت في منكرات هرتزل التي نشرت باللغة العربية .

ولنعد إلى حقيقة الصراع بين القوى الإسلامية بقيادة عبد الحميد وبين القوى الاستعمارية واليهودية لتعرف مدى ما حققه استقلال عبد الحميد تمهيدا للنساء الخلافة الإسلامية .

لكن تعرف حقيقة حركة الوحدة الإسلامية الجامعة التي قام بها عبد الحميد يجب أن ننسور بوضوح واقع الدولة العثمانية والعالم كله خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر وقد بلغت الدولة العثمانية ذروة مراحل الضعف وقد تجمعت الدول الغربية على وضع الخطط لتقساء عليها وإفريقيا والألاس . وقد كانت روسيا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا جميعا بالاضافة إلى البانوية تتشارك في رسم هذه الخطط وفي النزاع الأجزاء الأوروبية من الدولة واسترجاعها والاستعداد لتقسيم الأجزاء العربية في الدولة وهي الشام والعراق والجزيرة العربية .

وكانت مخططات المسيحية العالمية تركز تركيزاً شديداً على الدولة العثمانية من أجل الوصول إلى فلسطين وتحقيق حلمها في إقامة هيكل سليمان . فلما ولي السلطان عبد الحميد الحكم خليفة للمسلمين وسلطاناً للدولة العثمانية واجه الموقف على نحو يختلف عما واجهه به سلاطين آل عثمان الذين سبقوه وكانت مواجهته جادة حاسمة . كان الحسنة الطبيعية كبيراً وكان ذكائه وسعة فكره والمأهه بالتصارات المختلفة بليغاً ، ومن هنا فقد جرى من الأحداث في طريقها الرسوم شوطاً لم لم يلبث أن وضع خططه المحكمة التي رأى أنها الطريق الوحيد لمواجهة الغزو الاستعماري الزاحف والذي كان قد تشكل داخل الدولة العثمانية في مؤسستين خطيرتين . أحدهما : المحافل المسبوبة في سلوفاكيا وتركيا الفتاة التي سميت بعد (الاتحاد والترقي) والتي ضمت مجموعة من المثقفين ثقاته غربية ومن أصحاب الولاء الفكري الغربي وخاصة الفرنسي ومن الذين أغروا عن طريق المستشرقين وكتاب الغرب بأنه لا سبيل أمام الدولة العثمانية لكي تصل إلى التحرر والقوة الا بالتنازل بناهج الغرب التمسك كايلا وطرح فكرها ولسلوبها ومنهجها الاسلامي القديم والتخلص منه الى غير رجعة ، غير ان هذه الجبابة لم تستطع ان تدفع وحدها فالتصمت ليعون من المحافل الماسونية ومن ثم احتوتها الحركة المسيحية وسيطرت عليها ووجهتها الوجهة التي ارتضتها في القضاء على الدولة العثمانية وكان السلطان عبد الحميد قد حدد هدفه في مواجهة النفوذ الغربي على هذا النحو : ان الوسيلة الاساسية لمواجهة النفوذ الاستعماري هي تجميع المسلمين في كل مكان تحت جناح الخلافة الاسلامية الذي تحصيل لواءه الدولة العثمانية الجامعة في كنفها بين العرب والترك ، ومن هنا فقد كان على السلاطين العثمانيين

الذي هو خليفة المسلمين أن ينادى المسلمين في جميع أنحاء الأرض أن يتقوا معه في صف واحد في مواجهة النفوذ الغربي ومن هنا كانت صيحته المعروفة المشهورة التي هزت الغرب كله : « يا مسلمي العالم اتحدوا » .

ومن هنا بدأ الخطر الذي واجهته الدول الأوروبية والاستعمار واليابانية والمسيحية العالمية في عصف وأخذت في التماس كل وسائل التآمر والغدر في سبيل تعطيل الخطة والتضاء على العالم بها . ولكن السلطان عبد الحميد استطاع أن يصمد لذلك وقتاً طويلاً وأنه كان قد بدأ هذه الحركة عام ١٨٧٩ على وجه التقريب فقد ظل يحمل هذا اللواء في قوة في مواجهة حواصص السياسة الأوروبية ثلاثين عاماً كاملة فون أن ينزائل أو يسقطه .

لم يكن السلطان عبد الحميد بذلك من القوة العسكرية ما يستطيع أن يواجه به أوروبا والغرب المتجمع باسم كلية (لا إله إلا الله) وتحت لواء الخلافة قوة عربية خشيته بأسها أوروبا وحسبت لها ألف حساب ، فقد كان المسلمون الموالون للسلطان تحت النفوذ الغربي في مسقط من الانطباع التي امتلكها بريطانيا وفرنسا وخاصة قارة الهند يمثلون قوة روحية ذات أهمية خطيرة ، ولقد حظى السلطان في تنفيذ خطته في قوة وسرعة ، بحيث شملت الدعوة كل الأقاليم الإسلامية وذاعت في كل مكان وحيث شملت معها عيلاً إيجابياً ناموا توائم المدارس والكتبات في كل صقع من البلاد الإسلامية وكان قد انشأ مدرسة الدعوة الذين سرعان ما انتشروا في كل أطراف العالم الإسلامي إلى الهند والصين وجزائر المحيط ومصر وأفريقيا وتركستان وأفغانستان وبلاد العرب والبلاد البعيدة العثمانية ، كما عقد مع الأمراء في شتى هذه

الفتح براسلات وعقود وعقود رولط الود والاذاء الاسلام
فيما بينهم وبين دولة الخلافة حتى قيل انه لم يبق مسلم واحد
لم يعرف طرفا من هذه الدعوة . وقد جعلت السلطان
عبد الحميد لياحه امرين عليين :

الاول : ان يكون اهل بلاد العرب هم سفارة هذه الدعوة
وحيلة لواتها ومن هنا عقد انخذ في كل قطر عربي « بشيرا »
له فجميع حوله علماء وبراء من الجزائر والندام ومكة ومنهم
ليناء الأحر عبد الدادر الجزائري وغيره من امراء المسلمين .

الثاني : هو انتهاء الخلاف الذي اوجه الاستعمار بين السنة
والشيعة او بين الأتراك والفرس وقد استخدم لذلك علامة
كبيرا هو السيد جمال الدين الأفغاني وأجرى صلحا مع شاه
فارس وصلح امر الخلافات القديمة كلها .

ولم يتوقف عند هذه الحركة الفكرية وحدها انما جعلها
وأجهزة لعمله الكبير الذي بداه في بناء القوة الحربية
والعسكرية وتنويع جيوشه والسطيله فقد استخدم بعثة
الثانية ولم يلبث ان أنشأ معاهد عسكرية فقلها عدد كبير
من الشبان المندثرين من شلب العرب من العراق وسوريا
ومصر . وقد مضت الخطة إلى غايتها المرجوة بتأثير عصبة
المسلمين بالترابط وتوحدت فكرتهم بالعمل الجامع ، وكان
دعاة الفكرة الإسلامية ينشرون ثقافة جديدة توليها مواجهة
الاستعمار الغربي الزاحق والخطر الأوربي القيصري
المسيحي جبيعا ، وتركزت الآمال حول السلطان عبد الحميد
خليفة المسلمين وتراخبت الدول الإسلامية وأهلها حول
مفيدة الخلافة على نحو بلغ غاية القوة (عكثوا يفكرون
اسمه في مطلب الجامعة ويدينون له بالولاء والطاعة الروحية

وبلسم خلافته على المسلمين كافة (وجعلهم من رعيا دول
أوروبا في الهند وجزر الهند الشرقية وشمال أفريقيا) وكان
السلطان على حد تعبير محمد رفعت باشا في كتابه التوجيه
المسلمي للفتنة العربية « يفاوض الدول الكبرى ويصالحها
بل يهددها أحيانا بلوحا بسلاح الجهاد الديني ، واستطاع
السلطان أن يجمع تحت لواء الدعوة أبرز المسلمين في مجال
الفكر والسياسة وفي مدبنتهم : خير الدين التونسي
وجمال الدين الأفغاني وأبو الهدى أفندي السبيدي وأبناء
الأمير عبد القادر الجزائري » .

وأدلم من العرب فرقة خاصة سببها ثل الحرس
السلطاني وولى كثيرا منهم مناصب رئيسية في الدولة
وفي مقدمتهم أحمد عزت البعلد . وكان من كبر أعمال السلطان
في هذا العهد : إنشاء سكة حديد الجزائر التي تربط
بين عنق المدينة وكذلك فرعها الذي يربط بين الجزائر
وبنقداد وقد وجد هذا العمل دافعا بلغيا من المسلمين
في كل مكان وتبرعوا له بأكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات
الذهبية ، فكان من أخطر المشروعات التي سجلت بالفتنة
على السلطان فقد كان مقرا للغرب بتغيير اسلامی كبير .
وقد استهدف في الأغلب القضاء على دسائس الإنجليز
ومؤامراتهم في البحر الأحمر والجزيرة العربية وكان من أخطر
مواقف الحركة الإسلامية الواحدة التي دعا إليها وحمل
لأمرها عبد الحميد : هو معارضة أهداف الحركة الصهيونية
في السيطرة على فلسطين ومواجهتها .

ومن هنا انطلقت الصحافة الأوروبية ونابعتها الصحافة
العربية التي ظهرت في مصر والتي تاد حركة خريجو
الإرساليات التبشيرية ، من أمثال : سليم سرعيس وفارس

نير ويعقوب صروف وفرح الطون ولغيرهم الذين حملوا أواء التشهير بالقولاء ومعارضة الشاعة الاتهامات المختلفة حول شخصيته وأصوبه بتلك الصورة الرقيقة لحساب الصهيونية العالمية التي أطلقت لاشاعة روح الكراهية والانتقام للرجل بعد موقفه الحاسم الكريم من مطالبهم وكان أعظم ما تركز عليه هذه الحيلة التارة عوامل الفتنة بين قيادة الحركة الإسلامية وبين العناصر المختلفة في الدولة العثمانية وخارجها .

وكان الكوي من عالم حركة السلطان عبد الحميد في مصر الثورة كرومر الذي حمل على فكرة الجامعة الإسلامية حملة شاذية ودعا الدول الأوروبية في تحريض سائر إلى التجيع للوقوف في وجه هذه الدعوة وكذلك هاجمها هاتونو الفرنسي والأورد غرائ ووصفوها بأنها ثورة التعمصية الدينية وأنه ليس التمسد منها إلا تحدى ثوات الدول الغربية المسيحية . وقد حيلت جريدة المظلم في مصر أواء معارضة هذه الدعوة .

ولقد شهد كثيرون بأسئلة هذه الحركة وثوتها وأثرها ، يقول الدكتور توفيق بربو : أنها كانت كرد لمعسل للحركة الاستعمارية الأوروبية الطائفية وإن فادتها كانوا من الدعاة المبرزين وقد ألقى نلر هذا الشعور أثبة من أفاضل العلماء أمثال جمال الدين ومحمد عبده ومصلطى الغلاينى ورشيد رضا الذين تألموا باستغلال هذا الشعور في سبيل سيطرة السلطان في الداخل وتقرير مكانة الدولة في الخارج .

وبعد فلفد كان السلطان عبد الحميد سياسيا قديرا وترما من أتمام السلسلة الدولية وأولا ذلك ما استطاع أن يصمد في وجه هذه الرياح العاتية وكان قادرا على التعرف على مشطط التيارات والأوامرات وكان يفهم أبعاد الخطر الداخلي

الذي يلججه الاستعمار والصهيونية من طريق حزب تركيا الفتاة وكيف تسيطر عليهم الماسونية العالمية وتوجيههم لصالحها كما كان يعرف نقاط الضعف في الدول الغربية وأوجه الخلاف بين بعضها البعض فيستغلها ويستفيد منها ، وأبست استنسخ ان امور هذا الخبيث بأعظم مما صور به جمال الدين الأفغاني : الذي الذي بالسلطان ساعلت ومرات وتدارس معه شئون العالم الاسلامي ومضامير السياسة الأوروبية ومخططاتها ، وذلك بعد ان قدم الى الاسكندرية قال : رأيتة يعلم دقائق الأمور السياسية ومراس الدول الغربية وهو يعد لكل هوة نظراً على الملك بخرجها وسلبها واعظم ما ادعشني ما اعدته من خفي الوسائل والخبيث العوائل كي لا تنفق أوروبا على حمل خطير في المسالك العثمانية ويرهبها ميثاقاً محسوساً ، ان تجزئة السلطة العثمانية لا يمكن الا بخراب يعم الأمم الأوروبية بأسرها ، وقال : ان ما رأيتة من يقظة السلطان وثدة حقرة واعداده العدة اللازمة لأبطال مكائد أوروبا وحسن نواياه واستعداداته للنبهوش بالقولة قد دفعني الى مد يدي له فبايعته بالخلافة والملك . ا . ه .

ولقد أكد كثيرون من المؤرخين والباحثين في التتصاف ان السلطان عبد الحميد كان آخر الحصون التي دافع بها الاسلام من وجوده العالمي وبعد التيارات تحت المؤامرات الغرب وريسته الصهيونية . ومن الحق ان يقال ان الحركة التي حمل نواياها السلطان عبد الحميد في تجميع المسلمين تحت لواء الخلافة كانت اتجاهها دينياً وأيضاً بدلاً كل النفوس ، ولذلك فقد حققت نجاحاً كبيراً ، ازيج الاستعمار والصهيونية ازعاجاً شديداً مما استدعى العمل من جانبهم لإجهاله والتشواء على حيل لواء الدعوة أصلاً كوسيلة للتشواء عليها وتدميرها .

(م ٢ - تصحيح أكبر خطأ)

في هذا الضوء يتبدل العمل الذي قامت به الصهيونية
من جانبين :

أولا - من جانب الدولة داخل الدولة العثمانية وخاصة
في محاصرة السلطان وتأثير عليه .

ثانيا - من ناحية الصهيونية العالمية في التقاضي
مع السلطان عبد الحميد واليأس منه وإصدار القرار الحاسم
بالعمل على استغاله .

أولا - الدولة : هي القوة اليهودية الكاثبة داخل الدولة
العثمانية التي اختارت مدينة سالونيك ودخلت الاسلام بعد
تاريخ طويل معروف ، وهي التي نشأت المحافل المسيحية
في الدولة العثمانية لهذه الغاية واتصلت بجماعة الاتحاد
والترقي (وحزب تركيا الفتاة) واستخدمت له في محافلها الفرس
للعمل ، وتلاقت الرغبات على التخلص من الوجه الإسلامي
لتركيا ومن السلطان عبد الحميد وكان ذلك قد بدأ يأخذ
طريقه بقوة منذ إعلان السلطان عبد الحميد دعمه
إلى المسلمين . وكانت قوى كثيرة تشارك اليهودية العالمية
في هذا الاتجاه وقد كان السلطان عبد الحميد يعرف هذه القوى
التي يواجهها في الداخل ويعرف المؤامرة التي تدبر لتركته وله
وكان يعرف أبعاد المخطط كله : فئة المثقفين الغربيين الذين
سيطرت عليهم أفكار الثورة الفرنسية وببينة المحافل المسيحية
من ناحية وحركة الاتصالات الأجنبية في لبنان وشراها التأثير
في مصر وسوريا والبلاد الإسلامية لتحمل أخطاها على الإسلام
والوحدة الإسلامية والمحافل المسيحية في سالونيك . وإذا
كان السلطان قد عارض مدحت وحزب تركيا الفتاة فقد كان

عالمًا بأنهم والعموم تحت نفوذ الماسونية العالمية أداة الصهيونية العالمية في ذلك الوقت وأن موقفه دون تمكن اليهود من فلسطين تدحرج كل هذه القوى ولديها بالشارع الانتفاضة . أن تصريحات كثيرة للسلطان عبد الحميد تكشف أنه كان عالمًا بأهداف الصهيونية في هذا الوقت المبكر ، ولذلك فقد كان وقوفه في وجه الاتحاديين وارتكابا النساء وعمله على تحصين مخططاتهم ليس نابعًا من كراهية للفلسفة الدولة العثمانية ولكنه كان مبعثًا في النظرة إلى الأهداف البعيدة لتدمير هذه القوة التي كانت تحمي آمال المسلمين داخل الدولة وخارجها .

ولقد سادت نظرة السلطان عبد الحميد على الاتحاديين بعد أن دخلوا التجربة فعلاً وسيطروا على الحكم من ١٩٠٩ إلى ١٩١٨ وما قاموا به من تسليم كامل للدولة وتبعية كاملة لمخططات الاستعمار والصهيونية مما كلف امالة عبد الحميد وبعد نظره وجلال موقفه الحاسم في وجه النفوذ الاستعماري نفسه بالدعوة إلى الوحدة الإسلامية وفي نفس الوقت بمقاومة هذه التبعية التي كانت تحمل مظهرًا برافًا هو الإصلاح على طريقة الغرب بينما كانت تحمل في أعماقها إيمانًا بالفقهاء في الغرب كله ، ولقد خدع المسلمون والعرب بالاتحاديين وأقبلوا الأبراج وسرعان ما اكتشفوا أنهم سلخوا أنفسهم إلى تلك الأسد وأتباعه . أن مقدرة عبد الحميد على فهم ما يحيط به كانت أكبر مما يظن كثيرون ولكنه كان في موقف لا يستطيع معه أن يكاليف المسلمين بالأخطار التي تحيط به .

قد كان اليهود يرون في السلطنة العثمانية شيئًا مخيفًا خطرًا على مستقبلهم كما يقول الدكتور محمد علي الزلعي في كتابه الماسونية في العراق ، وكانت الدولة بكل مؤسساتها وتدخلاتها أداة للتنفيذ في الوقت المناسب .

ثانياً - بعد أن عقد مؤتمر بال ١٨٩٧ وكانت حركة الوحدة الإسلامية قد استحصنت ، كانت وجهة نظر اليهود هي اقتحام فلسطين ولذلك فقد ركزت القفط حول الدولة العثمانية وحول السلطان عبد الحميد في محاولة لإحوائه فلما منهم أنه في ظرف من الضعف وفي حالة من الاستدانة تجعله يخضع للأغراء ، اغراء اليهود بالذهب وهم من قبل أصحاب العجل الذهبى ، وبدلت المحاولات منذ ذلك الوقت واتخذت وسائل كثيرة ووسائل متعددة منها وسيلة الأبرار لأمور اليوم ولقاء اليهود الثلاثة (مزراحى فراسو - جال - ليون) ولقاء هرتزل وبمع موسى أبوى حاكم اليهود في الدولة العثمانية ولقاء السفير اليهودى غوش وهو سفيرة على مذابحة اليهود الثلاثة ثم لقاء هرتزل للسلطان والرجل قصره .

وقد عرض من خلال هذه المقابلات مشروع يرمى الى تسخير فرش الدولة العثمانية ببلغ خمسين مليوناً من الجنيهات الذهبية وخمسة ملايين جنيه لخرانة السلطان الخاصة . بناء لسطول كليل للدفاع عن أراضي الدولة العلية .

وذلك في مقابل السماح لليهود بإنشاء مستعمرة صغيرة لهم قرب القدس يتزل بها أبناء جلدتهم .

وحشى لا تعليل والتفاصيل كلها موجودة والمراجع ثابته : تنوه يارد النمسالى للسلطان عبد الحميد : بلغوا الدكتور هرتزل ألا يبدل بعد اليوم شيئاً من المحلوة في هذا الأمر (الدومان بفلسطين) فأتى لست يساعدوا أن اتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب الى الغير عايلاد أبست ملكى بل هي ملك شعبى روى ترابها بدمائه . فليحتفظ اليهود

بملايئتهم من الذهب، فإن الدولة العلية لا يمكن أن تخفي وراء حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام .

لست مستعداً لأن اتحمل في التاريخ وصمة بيع بيت المقدس لليهود وخيانة الأمانة التي كلفني المسلمون بحملتها .

أن يكون الدولة ليست عاراً لأن غيرها من الدول الأخرى مدين مثل فرنسا .

إن بيت المقدس قد انتزعه المسلمون أول مرة بخلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولست مستعداً أن اتحمل في التاريخ وصمة بيعها لليهود وخيانة الأمانة . وقد أورد هرتزل في مذكراته التي طبعت بالألمانية في تل أبيب عام ١٩٢٤ قصة هذه المحاولات وتقال بعد فشل المحاولة الأخيرة : أن السلطان عبد الحميد الشريف الفذ الذي اخفى عن المسلمين والعرب منذ عام ١٩٠٦ حتى سنوات قريبة عندياً ترجعت بمذكرات هرتزل وكان أول من أشار إلى هذا التعمى الأستاذ أحمد القسري في دروسه في معهد الدراسات العربية بالقاهرة منذ عشر سنوات وقد ظل المسلمون والعرب خلال فترة لا تقل عن خمسين عاماً يرمون هرتزل عن قوس واحدة لأن الاستعمار الصهيوني والصحف العربية التي أسعروا تلاييد مدارس الإرساليات وخاصة في مصر (القلم ، الأهرام ، الهلال ، المتنطف ، مجلة سركيس) وعشرات من هذه الصحف كتبت تصف عبد الحميد بالسلطان الأحمر السعيد . وقد انتقلت هذه العبارات من الصحف إلى كتب التاريخ وكتب تاريخ الامة العربى ، وما من كتاب أرخ هذه الفترة إلا احتوى على هذه العبارات التي أصبحت مسئلة بالاشاعة

الى تعبير آخر سنعود له من بعد وهو « الاستعمار التركي العثماني » .

كانت هذه العبارات الثائرة التي وجهها السلطان عبد الحميد الى هرنزل عام ١٩٠٢ بمثابة تلك الحصنة الحصينة على السلطان بعد ان تقرر اراحته وكانت هذه الحملات التي وجهت اليه شهيدا واحدا للراى العالم لهذا الغرض . ونفس جرت منذ ذلك الوقت محاولات لانقياله واستقالته حتى وقع ذلك عام ١٩٠٨ بالانقلاب الذي قام به الانحاديون بالاشتراك مع المساوية ممثلة في الفتية .

ولا تزال عبارات عبد الحميد تراسا مضيقا وتاجا لامعا وشرفا ما بعده شرف ، يتوج جبينه في تاريخه المعاصر ، وعند ربه ، ويتردد عنه ومن حوله كل الاشاعات والشبهات والاضاليل . وقد تبين من بعد في وثائق كثيرة والكشف السبق عن مؤامرة قلب الدولة العثمانية واتزال عبد الحميد بالذات كقطرة أولى لتنفيذ هذه الجريمة الشنعاء . والمؤامرة العالمية لتطعيم الوحدة الجفرية والرابطة العنصرية لثالبية بين العروبة والاسلام . ولقد تحقق فعلا لليهود والاستعمار باستغلال عبد الحميد كل ما كانوا يريونه ولم تلبث الهجرة الى فلسطين ان بدأت سائرة منذ ذلك الحين ونجاح ذلك الأمل الذي استعصى سنوات وستوات ، وكان ذلك بقضية لا شك فيها للقضاء على الخلافة الاسلامية .

ولقد كان ضروريا للباحث المميز المصنف ان يقف دائما من تاريخ الدولة العثمانية في العصر الأخير مواقف المعدل والصق وان يفرق بين عهدين : عهد السلطان عبد الحميد الذي انتهى عام ١٩٠٨ تقريبا وعهد حكم الانحاديين الذي بدأ

منذ ذلك الوقت وظل مستمرا حتى اسلم لبره الى الكمالين بعد الحرب العالمية الأولى . فهذه الفترة واضحة وشرورية خاصة بالنسبة لنا في المشرق : ذلك ان سوريا ولبنان والعراق قبل ذلك تعيش في هذا الانحياز المعارضي للخلافة والسلطان بينما كانت مصر التي سقطت عنها ولاية الدولة العثمانية وسيطر عليها الاستعمار البريطاني منذ ١٨٨٢ تؤيد الخلافة والسلطان . ولقد كان موقف حكومة الاتحاد التركي من أهل سوريا ولبنان ومحاكمية رجالهم وتعليمهم على المشائقي عام ١٩١٦ اثر نفسي بعيد في نأرتهم الكفسة الى الدولة العثمانية والحقيقة انها يجب ان تكون فاصلة على الاتحاديين وحدهم .

ومن هنا وجب التقريب بين مرحلة السلطان عبد الحميد التي انتهت عام ١٩٠٨ وهي فترة كان موقف الدولة العثمانية فيها بالنسبة للعرب والمسلمين موقفا كريها ، وكانت الحركة الإسلامية الواحدة من اعظم الأعيال ، لها الفترة التالية التي حكم فيها الذين سقطوا السلطان فانها تمثل أسود صفحات الحكم التركي ولاء للصهيونية والاستعمار وشريا للوحدة الإسلامية واعلاء للحركة الطورانية ، ومحاولة لتترك العرب في سوريا وتعلق زعمائهم على المشائقي ، هذه الفترة وحدها هي التي يفت فيها العرب من سوريا موقف الخصومة للترك وهي ليست من حساب الدولة الإسلامية العثمانية في الحقيقة .

كذلك نجد انه من الضروري ان نصصح عبارة « الاستعمار التركي » او العثماني . والواقع ان كلمة استعمار كلمة مستحدثة مرتبطة الى حد كبير بطول مهيمنة بقوة الحميد

والفشل. تأخذ ثروات الأمم بأكس الأثمن لتجعلها موارد خلتها
لأستعمها ثم تعود إلى هذه الأمم منتزعتها لذيبتها بأعلى
الأسعار ؛ وهذا التسلط الاستعماري لم يكن موجودا في هذه
الفترة ولم تكن الدولة العثمانية بهذا المعنى دولة مستعمرة ؛
كذلك فإن الأجزاء العربية التي انضمت إلى الدولة العثمانية
لم تكن قد انضمت بالاحتلال وقسر ولكنها كانت برضاء ودعوة ؛
فقد وجد العرب أنفسهم بعد شعف المماليك في حاجة
إلى الانتقاء تحت اسم الاسلام مع هذه الدولة الكبرى رغبة
في الوحدة ومحافظة على النفس . وبعد أن تعرضت سوريا
ومصر لحالات غزو صليبي متجدد من القرب ؛ والمعروف
أن العرب في مصر وسوريا قد رحبوا بالوحدة الإسلامية
العثمانية ولم يعارضوها حيث وجدوا في العثمانيين أخوانهم
في العقيدة والدين منتشبا جديدا للإسلام . وقد أكد المؤرخون
والباحثون أن هذا الانتقاء بالعرب والترك في ظل الدولة
العثمانية قد حسم العالم الإسلامي أكثر من أربعمائة عام
من الغزو الصليبي الذي تم بليت أن جاء بعد شعف الدولة
العثمانية .

والواقع أن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية لم يتجاوزها
الزمن ولقد نبين للمسلمين اليوم بعد سنوات طويلة
من الدعوات القبطية والقومية أن الوحدة الإسلامية

هي الأصل الأصيل والوجهة الصحيحة وكل الدلائل تؤكد الآن
أن المسلمين ساهموا إلى طريق الوحدة الذي خطه اليهودية
والاستعمار باستغلال عيد الصمود وإلغاء الخلافة .

هائية :

عندما عقد الملتقى الإسلامي المسلمين في ولاية بجاية
من جمهورية الجزائر عام ١٩٧٤ وأثار كعادته في كل عام
عددا من القضايا والمعضلات التي تواجه الفكر الإسلامي
في العصر الحديث وقد اشترك في الملتقى عدد كبير من الباحثين
والعلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي كما شارك فيه
ممثلون للمسلمين في الهند واليابان كانت أبرز القضايا
التي تناولها البحث :

— وضع الأقليات والجماليات عموما والإسلامية خصوصا
في كثير من بلدان القارات الخمس وواجب العلماء والمفكرين
ورجال الإعلام نحوها .

وقد اشارت الدكتورة ليلى السباغ من أساتذة التاريخ
بجامعة دمشق إلى الدولة العثمانية إشارة خاطئة حين قالت :
أنها أسلمت البلاد العربية لخدمة سائفة للاستعمار الغربي .
وقد تسدى لها عدد من الباحثين الجزائريين ومرسوا توجه
نظريهم إزاء الدولة العثمانية والدور الكبير الذي قامت به
إزاء حملة الغرب كله من الغزو الأوربي وتوالت المطالبة

بمعرفة دور المشرق وقد تصدى كاتب هذه السطور لذلك فقال :

رغبة في تغذية تنمية الدولة العثمانية بوجهة نظر المشرق والعرب ومصر بالإضافة الى وجهة النظر المغربية الجزائرية في هذه المسألة نقول : لقد تأثرنا في مصر والمشرق في كتبنا الدراسية وأبحاثنا التاريخية بوجهة النظر الغربية تجاه الدولة العثمانية ، وهي وجهة خاصة للغربيين ، نتيجة التوسع التركي عرفتها مناطق البلقان وغيرها في القرن التاسع عشر ، وقد نقل الاستعمار البريطاني في مصر ، والفرنسي في سوريا ، وجهة النظر هذه الى كتب التاريخ التي تدرس في مدارسنا وجامعاتنا ، كما تأثر بها بعض مؤرخينا بتلمذة للنظرة الغربية ، او تحت تأثير الدعوات القليبية كالفرعونية القبطية وغيرها غير ان هذه النظرة تعبقت من بعد وبأفقت اتهم غلاتها في تجاوز الحقيقة ، على اثر ظهور الصحافة العربية التي حررها وأخرجها اللبانيون المارون ، خريجو معاهد الإرساليات ، وأصحاب الصدأ الواضح للدولة العثمانية .

وزاد هذه النظرة عنفا وتمسبا : تلك المحاولة الخطيرة التي طرحتها الصهيونية العالمية بعد عام ١٩٠٢ لتشيويه شخصية السلطان عبد الحميد ورميه بالانهييات كإلحاق السلطان الأحمر والمستبد العثماني وغيره ، وكلها كليات

محاولات أريد بها تهيئة الأذهان للقبض عليه والتزاعه من مكانه ، وقد حاولت المسلم والأهرام والهلل والمفتل وكلفا كانت لبنائية الأسفل في هذه الحيلة وكان ذلك على أثر الموقف الحاسم الذي وقعه السلطان عبد الحميد من المحاولات المتصلة التي جرت خلال الأعوام السابقة لعام ١٩٠٢ والذي أرسل فيه السلطان خطابه التاريخي الى السحفي اليهودي شوبور هرتزل صاحب كتاب الدولة اليهودية ومؤسس الصهيونية الحديثة وقد جاء في هذا الخطاب بالنص :

قولوا للتكوير هرتزل لا يتصل بي مرة أخرى ، ان بلادى تفضل ان نقل مدينة على ان تسدد ديونها من ذهب اليهود ، ان فلسطين هي بلاد العرب ولا يستطيع ان افرد في شير منها .

وكان التكوير هرتزل قد عرش على السلطان خمسين مليوناً من الجنيهات الذهب لخزانة الدولة وخمسة ملايين من الجنيهات الذهب لخزانة السلطان الخاصة الى مشاريع أخرى كثيرة تدعم الدولة العثمانية اقتصاديا .

وقد سجل هرتزل في مذكراته كيف حاول اغراء ذلك الرجل الكريم أشد اغراء ثم كشفت وثائق التاريخ من بعد كيف جرت المحاولات لقتله ثم استغله وقد اغري أشد اغراء وعهد أشد تهديد ولكنه صمد صموداً مشرفاً وظل موقفه هذا محجوباً عن الصحافة وعن المدارس والجامعات وكتب التاريخ سنوات طويلة حتى ترجمت مذكرات هرتزل في السنوات الأخيرة ،

وظل اسم السلطان عبد الحميد يذكر في كتبنا المدرسية مشفوعاً
بابتساح الإنهائيات حتى ادعى الله الحق وكشف ذلك الزيف
الذي حاول به الاستعمار وحاولت الصهيونية إيقاع الفرقة
والخلاف بين العرب في مصر والشام وبين الدولة العثمانية .

وللحقيقة فاعتنا بحجب أن نفرق بين عهدين في تاريخ علاقتنا
بالدولة العثمانية : فترة السلطان عبد الحميد التي تنتهي عام
١٩٠٨ باستيلاء الاتحاديين على حزب الاتحاد والترقي وإبذاع
المسؤولية وريثاب الوثنية وبين الفترة التالية التي استمرت
حتى عام ١٩١٨ وهي الفترة التي ضل أسود صفحات العلاقة
بين العرب والترك ، وهي ليست من حساب الحكم التركي
الإسلامي ولكنها مرحلة متقدمة لخفية الصهيونية العالمية
وتنصرها وتشكيل أول محاولة لشرب السمعة الإسلامية
العربية ، بإعلاء الدعوة الطورانية ، ومحاولة تنريك العرب
في سوريا وتعليقهم على المشتاق ، هذه الفترة وحدها
هي التي يلقب منها العرب في سوريا موقف الخصومة للترك
وهي ليست من حساب الدولة الإسلامية العثمانية في الحقيقة .

كذلك فإن النظرة إلى الدولة العثمانية عام ١٦١٩ عندما
انضمت الأجزاء العربية في العراق وسوريا ومصر إليها ،
غائبة في التحليل التاريخي الدقيق ليست سوى التمسك
بين عنصرين مسلمين . وقد وجدت من جانب العرب نقلاً
صافياً فهي ليست في حقيقتها إلا محاولة طليعية من محاولات

الانقضاء والتكامل بين اجزاء العالم الاسلامي في مواجهة الاخطار وقد جاءت هذه الوحدة الاسلامية بين العرب والترك على اثر ضعف قوى الممالك وتعرض الاجزاء العربية وخاصة الشام ومصر لتجديد الغزو الصليبي . والمعروف ان العرب في مصر وسوريا قد رحبوا بالوحدة الاسلامية العثمانية ولم يعارضوها ، حيث وجدوا في العثمانيين اخوانهم في العقيدة والدين يتمتعوا جديداً للإسلام وقوة شابة بدوية متفائلة رنعت راية الاسلام خفاقة عالية . وقد لشد الباحثون ان هذا اللقاء بين العرب والأتراك قد حسم العالم الاسلامي اكثر من اربعمئة عام من الغزو الصليبي للمرة التالية .

* * *

ومن الحق ان يقال ان العثمانيين قد قبلوا في هذه المرحلة الاولى بالانكسار بمفاهيم الاسلام في نطاق الحكم وتحركوا من خلال اشارة . ويشهد المؤرخون غير المتعصبين على الاسلام او النافذين على الدولة العثمانية بان العثمانيين قد اقتنوا اثر الخلقاء الاولين في العمل والتسلح وتبنوا اعمالهم واتخذوهم قدوة وعملوا على جمع القلوب اليهم بتقسيم العلماء وانشاء المساجد والمدارس ومن هنا قد جرت محاولات البحوث الاستعمارية على وصف العلاقة بين العرب والترك بانها نوع من الاستعمار وهي ليست كذلك في الحقيقة ولها هذا من النظريات المدخولة التي يحاول الغزو التركي والتبشير الداعيتها لاثرائها في الأذهان .

ولقد مرت الدولة العثمانية ككل كائن حي بمرحلة القوة
ثم بمرحلة الضعف ، ولكن السلطان عبد الحميد كان يعرف
أساليب الاستعمار ويواجهها في دعاء وبراعة وقد شهد
جمال الدين الأفغاني حين التقى به بأن عبد الحميد يدبر
لأوروبا في مواجهة كل محاولة رداً وفي مقابل كل مؤامرة أمراً .

لم يكن الخلاف إذن بين العرب والترك ولكنه كان
بين العسرب والانحاديين دعاء الطوائفة فلتفرق دائماً
بين هذه المراحل ولتعرف أنه قد نشأ في مصر والبلاد العربية
الآن تيار قوى لتصحيح هذه الأخطاء على ضوء ما كتبه
الولائي من بروكوكولات صهيون أو ما نشر عن مؤامرات
الماسونية على النحو الذي يعيد الحقائق إلى نصابها في طريق
وحدة الفكر الإسلامي المتجه إلى وحدة الفكر الإسلامي
كخدمة للوحدة الإسلامية التي هي أمل المسلمين في مشارق
الأرض ومغاربها .

أور الجندي

الجندي هو من يقاتل في الجبهة
الجندي هو من يقاتل في الجبهة
الجندي هو من يقاتل في الجبهة
الجندي هو من يقاتل في الجبهة

دار العلوم للطباعة
الطبعة الأولى: ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م
٢٠١٤

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٩/١٢٤٨

الترقيم الدولي ٦ — ٣١ — ٧٣١٨ — ٩٧٧